دور الإحالة الإشاريّة في تحقيق التماسك النصّي على مستوى أكثر من آية في سورة البقرة

The role of demonstratives in achieving the textual cohesion on the level of more than one verse in Surat Al-Baqarah

محمد الأمين مصدق*

تاريخ الإرسال: 2018/12/26	تاريخ القبول:2019/12/20	تاريخ النشر:.2019/12/25

الملخص:

في إطار علم لغة النصّ تجاوز مدار الاهتمام فلسفةَ الربط بين أواصر الجملة المفردة، واتّسع للبحث في العناصر التي تسهم في الربط بين الجمل والعبارات، وعُدّت الإحالة أهمّ العناصر الاتّساقيّة حضورا في النصوص والخطابات المختلفة. ولا يتحقّق الربط الإحالي إلا عن طريق جملة من الأدوات من بينها أسماء الإشارة التي تتميّز بخاصيّة القدرة على الإحالة الموسّعة إلى ملفوظات كثيرة، مما يجعل التماسك النصّي أكثر إحكاما؛ لذلك اخترناها لتكون مدارا للدراسة في محاولة منا لاستشفاف دورها في تحقيق التماسك النصي على مستوى أكثر من آية في سورة البقرة، بعدّها أنموذجا راقيا من نماذج النصّ القرآني.

الكلمات المفتاحيّة: الإحالة؛ أسماء الإشارة؛ التماسك النصّي؛ سورة البقرة.

Abstract:

Under the lesson of text liguistics, the attention has gone beyond the philosophy of the linking between the single sentences, and has expanded to search the elements that contribute to linking sentences and phrases, and the reference tool is considered as the most common element that achieve the cohesion in the various texts and discourses, and it is surely achieved by

المؤلف المرسل: *محمد الأمين مصدق* manogoodman@gmail.com

* **جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر** manogoodman@gmail.com

means of a number of tools, including the demonstratives which are characterized by the extended reference capability to much talk, which makes text coherence stronger , fo that reason we have chosen it to be the field of the study, in an attempt to discover its role in achieving the textual cohesion on the level of more than one verse in Surat Al-Baqarah which is one of highest holly quran models.

Keywords : *Reference ; Demonstratives; Cohesion ; Surat Al-Baqarah*

*** *** ***

تمهيد:

انبثق الدّرس اللّساني النصّي في سبعينات القرن الماضي ليكون فتحًا في ساحة الدراسات اللغويّة، وعلى الرغم من أنّ إطاره النظري وآلياته الإجرائيّة لمّا يوقف عليها بشكل نهائي بعد؛ إذ إنّ الباحثين في نطاقهِ لا ينفكّون يطوّرون مباحثه، ويؤثّثون صرحه بمعطيات جديدة بين الفينة والأخرى، إلّا أنّه وجد لنفسه موقعا عزيزا، وصار واحدا من أنجع المقاربات في دراسة الظاهرة اللّغويّة، فقد فتح الباب على مصراعيه من أجل النظر إلى اللّغة من زاوية جديدة قوامها "النصيّة" التي هي معيار شكلي ودلالي يستشف به مدى تماسك النصوص وترابطها وتلاحمها.

ولا خلافَ في كونِ الإحاليّات (الضمائر، أسماء موصولة، أسماء إشارة) أهمّ العناصر التي تسبك أواصر النصّ؛ حيث تشكّل جسور تواصلٍ بين أجزائه، فتقرّب المسافات، وتجلي المعاني، وتوضّح الدلالات، ولأسماء الإشارة ميزة ليست عند غيرها، ألا وهو تمتّعها بخاصيّة الإحالة الموسّعة؛ فقد يحيل اسم الإشارة الواحد إلى جملة أو فقرة أو نص كامل. وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن مدى إسهامها في تماسك النص القرآني بشكل عام وسورة البقرة بشكل خاص، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه محاولين الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما دور الإحاليّات الإشاريّة في تحقيق التماسك النصي في سورة البقرة؟

1-التماسك النصي:

من العسير أن نحدّد مفهوما عاما للتماسك؛ وذلك لتداخله مع مجموعة من المصطلحات التي قد تعبّر عنه من قريب أو بعيد، وتتضح الإشكاليّة الحقيقيّة في تفريق العلماء بين مصطلحات تدل على التماسك الشكلي (كالاتّساق والسبك) ومصطلحات تدل

على التماسك الدلالي (كالانسجام والحبك)، وهناك من يرى أنّ إطلاق تسمية التماسك تجمع بين هذين النوعين؛ أي (التماسك الشكلي) و(التماسك المضموني).[1]

ولذلك فإنّ تناول موضوع التماسك النصي يقتضي التدقيق في مصطلحين متقاربين بل متداخلين بشكل كبير، هما: الاتّساق (Cohesion)، والانسجام (Coherence).

والاتساق يدل من حيث معانيه اللغويّة على الاجتماع والضم والانتظام والاستواء،[2] أما في اصطلاح علماء النص فهو يتعلّق «بالوسائل التي تتحقّق بها خاصية الاستمراريّة في ظاهر النص (Text surface). ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق».[3] وعليه فإنّ الاتّساق يعدّ ركيزة أساسيّة في لسانيات النص، وهو يهتم بالأدوات النحوية التي تسهم في تماسك النص على المستوى الشكلي كالإحالة والحذف، والاستبدال، والعطف، والاتساق المعجمي.

أمّا الانسجام فيدل في معناه اللغوي على القطران والانسياب والسيلان،[4] أما في اصطلاح علماء النص يتعلّق « بالاستمراريّة الدلاليّة التي تتجلي في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكيّة المصاحبة للنص إنتاجا وإبداعا،أو تلقّيا واستيعابا، وبها يتم حبك المفاهيم، من خلال قيام العلاقات على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا،ويتعلّق بواسطتها بعضه على بعض».[5] وعليه فإنّ الانسجام يهتم بالأدوات النحوية التي تسهم في تماسك النص على المستوى الدلالي كالسياق، والتغريض، والبنية الكليّة.

2-الإحالة:

تعدّ الإحالة واحدة من أهم الأدوات النحوية التي تحقّق التماسك النصي، فهي قادرة على صنع قنوات وجسور تربط وحدات النص المتباعدة المتمثّلة في الكلمات والجمل والعبارات، ولا يجب أن يصرفنا اهتمامنا بالجانب النحوي عن الترابط الدلالي الذي يعدّ الغاية الأساسية. وتنقسم الإحالة إلى قسمين:

1-إحالة نصيّة (endophora): تتطلّب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النص للبحث عن الشيء المحال إليه،(6) سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص.(7)

2-إحالة مقاميّة (exophara): يعود فيها العنصر اللّغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلّم على ذات صاحبه المتكلّم.[8]

وتتجسّد الإحالة في مجموعة من الألفاظ التي ليس لها دلالة مستقلة في ذاتها، ولا يتحدّد معناها إلّا بالعودة إلى ما تحيل إليه داخل النص أو خارجه، وهذا الترابط الحاصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه لا يتم إلّا من خلال مجموعة الأدوات أشهرها: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

3-الإحالة الإشاريّة:

هي عناصر إشاريّة لا تحيل إلى المرجع ذاته الذي تحيل إليه الضمائر التي تقوم بوظيفة تحديد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه؛[9] حيث تكمن وظيفتها في تحديد مواقع هذه الشخوص في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري،[10] وتتساوى مع الضمائر الدالة على الغائب في كونها تحيل عادة إلى ما هو داخل النص.

وعليه فأدوات الإحالة الإشارية تقوم بعمليّة الربط القبلي والبعدي، وجميع أصناف الإشاريات محيلة إحالة قبليّة، ومعنى ذلك أنّها تربط جزءا لاحقا من النص بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتّساق النص، ويتميّز اسم الإشارة المفرد بما أطلق عليه الباحثان هاليداي ورقية حسن (الإحالة الموسّعة)؛ أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو إلى متتالية من جمل.[11]

الدراسة التطبيقيّة:

على ضوء الدراسة الإحصائيّة التي قمنا بها قسّمنا الإحاليّات الإشاريّة التي حقّقت التماسك بين أكثر من آية في سورة البقرة إلى قسمين:

1-أسماء الإشارة التي حقّقت التماسك بين آيتين: توزّعت الإحالات الإشاريّة التي حقّقت التماسك النصّي في سورة البقرة على مستوى آيتين وفق ما هو مبيّن في الجدول الإحصائي الآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	الآية
ألم	ذلك	إحالة داخلية إلى سابق	02
توبة الله على بني إسرائيل بعد اتّخاذهم العجل (الآية 51)	ذلك	إحالة داخلية إلى سابق	52
رفع الجبل المذكور في (الآية 63)	ذلك	إحالة داخلية إلى سابق	64

منّ الله عليهم من المداراة في أمر القتيل (الآية 73)	ذلك	إحالة داخلية إلى سابق	74
اليهود الذين نقضوا العهد (الآية 85)	أولئك	إحالة داخلية إلى سابق	86
إبراهيم- إسماعيل –إسحاق- يعقوب (الآية 133)	تلك	إحالة داخلية إلى سابق	134
الآية 142	كذلك	إحالة داخلية إلى سابق	143
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً (الآية 174)	أولئك	إحالة داخلية إلى سابق	175
وجوب النار لهم (الآية 175)	ذلك	إحالة داخلية إلى سابق	176
الآية 201	أولئك	إحالة داخلية إلى سابق	202
وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (الآية 252)	تلك	إحالة داخلية إلى سابق	253

التحليل:

أحيل باسم الإشارة الدال على المفرد المذكّر البعيد (ذلك) في قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ (البقرة/2) إحالة نصيّة سابقة إلى الآية الأولى؛ أي قوله تعالى: ﴿**الم**﴾ وجاءت(ذلك) هنا بمعنى (هذا)؛ فالإشارة إلى هذه الحروف من القرآن[12]، وذهب جار الله الزمخشري (ت 538 ه) في تفسير الكشاف إلى أنّ المولى تبارك وتعالى أشار في هذه الآية بالبعيد إلى القريب لأنّه «وقعت الإشارة إلى ﴿**الم**﴾ بعد ما سبق التكلّم به وتقضّى، والمتقضّى في حكم المتباعد، وهذا في كلّ كلام؛ يحدّث الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لاشكّ فيه. ويحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا وكذا».[13]

أمّا اسم الإشارة الدال على المفرد المذكر البعيد (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ عفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة/52) فمحال به إحالة نصيّة سابقة إلى قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ**﴾

(البقرة/51)، قال جار الله الزمخشري تفسير هذه الآية: «أي عفونا عنكم من بعد ارتكابكم الأمر العظيم وهو اتّخاذكم العجل من دون الله إلها».[14]

ويعود اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿**ثمّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(البقرة/64) على مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة/63)، والمشار إليه حسب ما ذهب الشيخ محمد صالح العثيمين في تفسيره هو «رفع الجبل في قوله تعالى: ﴿ **وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ**﴾؛ والمعنى: بعد هذه الإنابة وقت رفع الطور تولّيتم، ولم تذكروها؛ ما ذكرتم أنّ الذي خوّفكم بهذا الجبل قد يعيد عليكم ذلك مرّة أخرى».[15]

وأُشير باسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة/74)، إلى مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(البقرة/73)، والمشار إليه وفق ما ذهب أبو إسحاق الزجاج (ت 331 هـ) في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" هو إحياء القتيل؛ أي قست قلوبكم «من بعد إحياء الميّت لكم بعضو من أعضاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من يشاهدها-فشاهد بمشاهدتها من قدرة الله عزّ وجل ما يزيل كلّ شك-أن يلين قلبه ويخضع»[16].

وأحيل باسم الإشارة الدال على الجمع المذكر البعيد (أولئك) في قوله سبحانه: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ (البقرة/86) إحالة نصيّة إلى مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة/85)، والمشار إليه وفق ما ورد في تفسير "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي (ت 745 هـ) هم «الذين تقدّم ذكرهم أنّهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، وفي اسم الإشارة دليل على أنّه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف الذميمة».[17]

وأُشير باسم الإشارة الدال على المفرد المؤنث البعيد (تلك) في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(البقرة/134)

إلى مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة/133)، والمشار إليه حسب جار الله الزمخشري هو«الأمّة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحّدون، والمعنى أنّ أحـدا لا ينفعه كسب غيره متقدّما كان أو متأخّرا فكما أنّ أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلّا ما اكتسبتم».[18]

واسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (البقرة/143)، عـائد على مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (البقرة/142)، والمشار إليه حسب محمد العثيمين «هو جعل القبلة إلى الكعبة؛ أي: مثل هذا الجعل الذي جعلنا لكم-وهو اتّجاهكم إلى القبلة-جعلناكم وسطا».[19]

ويعود اسم الإشارة (أولئك) في قوله عزّ وجلّ: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ (البقرة/175) على مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (البقرة/174)، وأشير به حسب أبي حيان الغرناطي إلى «الكاتمين الذين سبق ذكرهم وذكر ما أوعدوا به»[20]، ويعلّل العلّامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" سبب مجيء اسم الإشارة وسطًا بين اسم إنّ وخبرها بأنّه « للتنبيه على أنّ الحكم الوارد بعد ذلك قد صاروا أحرياء به لأجل تلك الصفات التي ذكرت قبله بحيث إنّ تلك الصفات جعلتهم كالمشاهدين للسامع فأشير إليهم وهو في الحقيقة إشارة إلى أوصافهم، فمن أجل ذلك أفادت الإشارة التنبيه على أنّ تلك الأوصاف هي سبب الحكم وهو إيماء للعلة على حد أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ».[21]

ويعود اسم الإشارة (ذلك) إلى قوله: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ (البقرة/176) على مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ (البقرة/175)، قال ابن عطيّة الأندلسي (ت 541 ه) في تفسيره المشهور "المحرر الوجيز" «والمعنى ذلك الأمر أو الأمر ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب فكفروا به، والإشارة على هذا إلى وجوب النّار لهم، ويحتمل أن يقدر فعلنا ذلك، ويحتمل أن يقدر وجب ذلك».[22]

ويعود اسم الإشارة (أولئك) في قوله عزّ من قائل: ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾(البقرة/202)، على مذكور سابق، ونوّه بعض المفسّرين مثل جار الله الزمخشري، ومحمد صالح العثيمين إلى كون المشار إليه محلّ خلاف، والأظهر أنّ الإشارة تعود إلى أصحاب الحسنتين في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ (البقرة/201)؛ لأنّ الإشارة تعود على أقرب مذكور.[23]

وارتبط اسم الإشارة الدال على المفرد المؤنث البعيد (تلك) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾(البقرة/ 253) بمذكور سابق في الآية 252، والمشار إليه هم الرسل الذين دلّ عليهم قوله عزّ من قائل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (البقرة/252)، ووضّح الشيخ محمد صالح العثيمين في تفسيره مردّ الإحالة إلى الرسل باسم الإشارة المؤنّث لكونه « جمع تكسير؛ وجمع التكسير يعامل معاملة المؤنث، في تأنيث فعله، والإشارة إليه».[24]

2-أسماء الإشارة التي حقّقت التماسك بين أكثر من آيتين:

توزّعت أسماء الإشارة التي أسهمت في تحقيق التماسك النصّي في سورة البقرة بين أكثر من آيتين وفق ما هو مبيّن في الجدول الإحصائي الآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	الآية
آيات المنافقين (من الآية 8 إلى الآية 15)	أولئك	إحالة داخلية إلى سابق	16
الصابرين (الآيتان 155-156)	أولئك	إحالة داخلية إلى سابق	157
إحالة إلى جميع أصناف النساء المذكورة (من الآية 222 إلى الآية 241)	كذلك	إحالة داخلية إلى سابق	242
القصص السابقة المذكورة (من الآية 243 إلى الآية 251)	تلك	إحالة داخلية إلى سابق	252
البيان السابق ذكره (من الآية 258 إلى الآية 266)	كذلك	إحالة داخلية إلى سابق	266

التحليل:

اسم الإشارة الدال على الجمع المذكّر البعيد (أولئك) في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ**﴾ (البقرة/16) مُحال به إحالة نصيّة موسّعة إلى مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ (البقرة/8-15)؛ حيث أسهم في تحقيق التماسك النصّي بين تسع آيات كاملة، وذهب ابن عاشور إلى أنّه تمّت الإشارة به إلى «من يقول آمنّا بالله واليوم الآخر وما عطف على صلته من صفاتهم وجيء باسم إشارة الجمع لأنّ ما صدق (من) هو فريق من الناس»[25]، ويوضّح الشيخ ابن عثيمين اللّمسة البيانيّة التي تُلتمس من توظيف اسم «الإشارة بصيغة البُعد [نظرا] لبُعد منزلة المنافق سفولا».[26]

واشتملت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة/157) على اسمي إشارة دالّين على الجمع المذكّر البعيد

(أولئك، أولئك)، وأُشير بهما إلى مذكور سابق في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة/ 155-156) فتحقّق التماسك بين ثلاث آيات، والمشار إليه وفق الشيخ ابن عاشور «هو ذلك الموصوف بجميع الصفات السابقة على اسم الإشارة، وأنّ الحكم الذي يرد بعد اسم الإشارة مترتّب على تلك الأوصاف»[27]، وعلى عكس المعنى المستجلى من توظيف اسم الإشارة الدال على البعد في الآية 16 (تحقير وازدراء) يبيّن العلامة العثيمين أنّه جاء لفظ الإشارة بالبعد في هذه الآية «للدلالة على علو مرتبتهم، ومنزلتهم، ومقامهم».[28]

كما تحقّق التماسك النصّي بين عشرين آية كاملة في قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225) لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228) الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(230) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ**

وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(233) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(237) حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/222-241) عن طريق الإحالة النصيّة الموسّعة التي قام بها اسم الإشارة الدال على المفرد المذكّر البعيد (ذلك) في قوله عزّ من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة/242) إلى مذكور سابق هو جميع ما ورد في الآيات المذكورة سابقا، ويوضّح ابن عطيّة الأندلسي في تفسيره المشار إليه بقوله: «والإشارة

إلى هذا الشّرع والتنويع الذي وقع في النساء وإلى إلزام المتعة لهنّ، أي كبيانه هذه القصّة بين سائر آياته».[29]

وقام اسم الإشارة الدال على المفرد المؤنث البعيد (تلك) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (البقرة/252) بوظيفة الربط بين تسع عشرة آية كاملة؛ حيث أحيل به إحالة نصيّة موسّعة إلى مرجوع سابق هو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(245) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/243-251) والمشار إليه حسب صاحب الكشّاف هو «القصص التي اقتصّها، من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم، وتمليك

طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السّماء، وغلبة الجبابرة على يد صبي».[30]

وأسهم اسم الإشارة الدال على المفرد المذكر البعيد (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة/266) في الربط بينَ ثماني آيات في قوله عزّ وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260) مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ

﴿الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة/258-266) عن طريق الإحالة الداخليّة الموسّعة إلى مذكور سابق، وذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أنّ المشار إليه في الآية هو«البيان الذي قد تبيّن، الصدقة والجهاد وقصّة إبراهيم-عليه السلام- والذي مرّ على قرية، وجميع ما سلف من الآيات أي كمثل بيان هذه الأقاصيص».[31]

خاتمة:

في ختام هذا البحث نخلص إلى القول إنّ أسماء الإشارة على الرغم من كونها أقّل العناصر الإحالية حضورا مقارنة بالضمائر والأسماء الموصولة إلّا أنّها قامت بوظيفة هامة جدّا في تحقيق التماسك النصي على مستوى أكثر من آية في سورة البقرة، فتجسّد الربط بين آيتين في أحد عشر موضعًا، وتجلّى الربط بين أكثر من آيتين في خمسة مواضع؛ حيث قامت الإحالات الموسّعة التي تعدّدت مرجعيّاتها بمدّ جسور بين الملفوظات المتباعدة في النصّ فكان الربط أقوى وأحكم، وجاءت جميع الإحالات نصيّة عائدة إلى مرجوع سابق؛ ممّا يسهّل على متلقّي النص عمليّة إيجاد المرجعيّات، ومع تحقّق الربط النحوي عن طريق الإحالة الإشاريّة تحقّق التماسك الدلالي للمعاني في السّورة الكريمة.

كما يمكن القول إنّ إجراءات الدّرس اللّساني النصّي قابلة للتطبيق على المدوّنة العربيّة بصفة عامّة وعلى القرآن الكريم بصفة خاصّة؛ لأنّها إجراءات تتّسم بالشموليّة والدقّة والبعد عن الغلو، والنصّ القرآني مدوّنة خصبة للدراسة اللغويّة، فهو أسمق النصوص وأعلاها؛ حيث يزخر بدرر كامنة لا يمكن للباحث حصرها والوقوف عليها جميعا، والدّراسة اللغويّة في إطاره مفتوحة على المقاربة الحصيفة الرصينة التي تروم استجلاء ما فيه من إعجاز لغوي، حتى تكون إضافة حقيقية في حقل المعرفة اللغويّة بشكل خاص والمعرفة الإنسانيّة بشكل عام.

الهوامش:

(1)-ينظر: بشرى حمدي البستاني و دوسن عبد الغني المختار، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، مجلّة أبحاث كليّة التربية الأساسية، مج 11،ع 1، جويلية 2011، ص: 184.

(2)- ينظر: ابن منظور الإفريقي (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711 ه)، ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 379/10. مادة (وسق). وينظر: مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، 1425ه-2004م، ص: 1032.

(3)- سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهليّة، مجلّة فصول، مج 10، ع 1، 2، جويلية 1991، ص: 154.

(4)-ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، 1947/22. مادة (سجم)، وينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص: 418.

(5) - سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ص: 154.

([6])- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1418هـ-1998م، ص: 239.

([7])-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1431هـ-2000م 40/1.

([8])-الأزهر الزنّاد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص: 119.

([9])-ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص:140.ص: 87.

([10])-ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:117-118.

([11])-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط،19911م، ص:19.

(12)-ينظر: ابن عطيّة (هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن الأندلسي ت 541ه)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، 83/1.

(13)-جار الله الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ت 538 ه)، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح وتع ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ-1998م، 141/1.

(14)-ينظر: المصدر نفسه، 269/1.

(15)-محمد صالح بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1423ه، 226/1.

(16)-الزجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل البغدادي ت 311 ه)، معاني القرآن وإعرابه، شروتح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م، 155/1.

(17)-أبو حيّان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ت 745 ه)، تفسير البحر المحيط، تح وتع ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1413هـ-1993م، 462/1.

([18])-الزمخشري، الكشّاف، 333/1.

([19])-ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، 109/2.

([20])-أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 668/1.

(21)-محمّد الطاهر بن عاشــور، تفســير التحرير والتنوير، الدار التونســيّة للنشــر، تونس، (د.ط)، 1984م، 67/2.

([22])-ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز، 242/1.

(23)-ينظر: ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، 435/2-436. وانظر: الزمخشري، الكشّاف، 413/1. وانظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 249/2.

([24])-ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، 235/3-236.

([25])-ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 297/1.

([26])-ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، 16/1.

([27])-ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 57/2.

([28])-ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم، 182/2.

([29])-ابن عطيّة الأندلسي، المحرّر الوجيز، 327/1.

([30])-الزّمخشري، الكشّاف،477/1.

([31])-الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، 349/1.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊